

الأستاذ ماسينيون

عضو مجمع اللغة العربية

جرؤ ماسينيون على مجابهة الفكر العام الرسمي
بفرنسا عندما هب عام 1953 للدفاع عن ملك المغرب
جلالة محمد الخامس وعن أبنائه المجاهدين (وفي طلبهم
جلالة الحسن الثاني) الذين زج بهم الاستعمار في غياهب
حالكة بعد أن مهد لهذه البادرة المنكرة بسلسلة من
الاختلافات المزيفة لتبرير فعلته الشنعاء .

الى التكيف المرن ولو على حساب الكرامة الانسانية
والمثل العليا .

وقد جرؤ ماسينيون على مجابهة الفكر العام الرسمي
بفرنسا عندما هب عام 1953 للدفاع عن ملك المغرب
جلالة محمد الخامس وعن أبنائه المجاهدين الذين زج
بهم الاستعمار في غياهب حالكة بعد أن مهد لهذه
البادرة المنكرة بسلسلة من الاختلافات المزيفة لتبرير
فعلته الشنعاء ! قام ماسينيون آنذاك وصرخ في وجه
السلطة الفرنسية داعيا باسم مبادئ الثورة الى
احترام حق المغرب في الحياة واحترام هذه الانتفاضة
الملكية السامية التي دفعت ملك المغرب الى التضحية
بعرشه ليعيش الشعب وليحيا الوطن ! كانت صرخة
ملوية أرسلها ماسينيون مع ثلثة من رفاقه في قلب
باريس فسجلها له التاريخ بمداد الفخر ! وقد ذهب
ماسينيون أبعد من ذلك فزار الملك الراحل محمد الخامس
في جزيرة مدغسكر معطيا بذلك انصاع دليل على تجاوب
الأفكار الحرة رغم الفروق السلالية والحواجز السياسية.

وكان ماسينيون في كل حركاته مستمدا من هذه
الروح الوثابة التي وسعت الاسلام بميسم خاص فكان
يردد أنه انا كانت المسيحية قد لقنت البشرية مبادئ
الاحسان فان الاسلام قد نفخ في روح الانسانية فيضا
من الايمان وهذا هو ما حدا ماسينيون الى اعتناق
الاسلام في فترة من حياته وكان يحكى لمن يطرقه من

الاستاذ لوي ماسينيون من المع الشخصيات الفرنسية
التي كان لها ضلع قوي في تركيز حركة الاستشراق
بوجه عام والدراسات العربية بكيفية خاصة وقد شغل
كرسيا هاما في كلية السريون واختاره مجمع اللغة
العربية بمصر عضوا فيه وبذلك اندرج في سلك من ادبى
للغة الضاد على الصعيد العربي رسالة رائعة .

لقد مات ماسينيون وترك صلبى محاضراته يرن في
ردهات الجامعات العربية والمؤتمرات بأسلوبه العربي
المركز ومنطقه الرصين وعمق نظراته الى المشاكل التي
واجهتها اللغة العربية في انتفاضتها المعاصرة ازاء التطور
العلمي الحديث .

عرفته منذ عقدين من السنين من خلال مؤلفاته
وتعرفت اليه مباشرة منذ تسع عشرة سنة عندما زرته
بمنزله بزنقة فرانسوا الاول رقم 1 بباريس في صيف
1945 م. وتلمحت في الرجل من هذا وذاك عبقرية فذة
وروحا فياضة وارادة فولاذية وايمانا يتفجر معينه بما
يدعم المثالية الحق وكان في هذا وذاك موسوعة حية
تنبثق معطياتها عن شعور متوثب بأمثلية القيم الروحية
وتبلور هذا الاحساس منبعثا من سويداء ماسينيون
الفيلسوف في صور تصدم كل من يتصل بالرجل اذ
صراحة ماسينيون وصموده لمبادئه كانا يثيران خضما
من الاحاسيس الازدعة في الاوساط المختلفة التي دانت
للعالم بأبحاثه النيرة والتي كانت تحدها حوافز شتى

الزوار المجبين به عن الملابس التي احدثت بهذه الفترة ، وقد كان آنذاك في القاهرة وانتابته أزمة فكرية طوحت بجثمانه فانهار في مرض مخيف ويات معارفه من علماء الازهر وأعضاء المجمع الأنوبي يرتلون القرآن في مخدعه فأفاق وقد شفي مما كان قد ألم به وعرف للقرآن هذا الفيض من التور فكان يعترف بأن القرآن شفاء للناس وهو من هؤلاء الناس .

لقد درس ماسينيون التصوف الاسلامي وكتب عن الحلاج ومقتل الحلاج ونسفة الحلاج مجلدا ضخما يقع في ألف صفحة قرأته بامعان واعجاب منذ عشرين سنة فلمست في نبراته الروحية اقتدارا غزا على سبر بعض اغوار هذا الفكر الباطني الاسلامي الذي اُضيف الى القدر المشاع بين البشر نبعا جديدا حاول ماسينيون أن يعبر عن مدركاته الرقيقة لأول مرة في تاريخ اللغة الفرنسية بأسلوب عميق خلق لعدد غير قليل من المناطق والمفاهيم الصوفية مقابلا في الاصطلاح الفلسفي الغربي ! وكنت اتوسم من خلال تعابير ماسينيون الفنية بالاداة اللغوية الفرنسية مجهودا كثيرا ما يوفق لان الصورة الباطنية تبرز أحيانا في مظهر ينم عن مخبرها الرائع وقد أردف ماسينيون هذا المجهود بدراسات حول الاصطلاحات الفنية الصوفية .

وكان ماسينيون يرجع التصوف الى اصل اسلامي صرف هو القرآن مؤكدا أن التصوف في انبثاقاته الاولى

ليس سوى تلك الاشراف الروحية المنبعثة من دراسة القرآن والمستمدة من نبعه الفياض وأن التطورات التي طرأت على الفكر الصوفي من جراء التأويلات الباطنية الجديدة التي تتجلى خاصة في كتب ابن عربي الحاتمي انما تأثرت - في نظره - بالنزعة الصوفية المسيحية التي اقتبست هي الاخرى من مصادر فلسفية ابرزها مذهب الاشراق في المدرسة الافلاطونية الحديثة بالاسكندرية .

ولم يفت ماسينيون القيام بدراسات اجتماعية لم تقل عمقا عن أبحاثه الصوفية ولكنها اتسعت بموضوعية اعطت الدليل على جانب لم يخل منه فكر ماسينيون وهو الواقعية فقد قام سنة 1923 و 1924 بتحقيقات في المغرب وحرب الريف مستعرة الاوار - فانتل بالتجار واصحاب الحرف بعدد من الحواضر المغربية هي فاس ومراكش والرباط وسلا ومكناس والدار البيضاء وتارودانت واسفرت تحرياته عن احصائيات مدققة نمت عن اهمية العناصر الصناعية بالمغرب آنذاك فتبين ان عدد الصناع والمحترفين والتجار في تلك الحواضر يبلغ مبدئيا نصف السكان .

وقد قام ماسينيون بتحريات أخرى في باقي الاقطار الاسلامية تجلت في بعض كتيبه مثل «رائد العالم الاسلامي» و «الارواق في الاسلام» .

وهكذا خمدت جذوة رجل بعد أن أدى للفكر وللانسانية أجل الخدمات .

عبد العزيز بنعبد الله

